

(المساعدة في تخفيف المصائب)

حُطْبَةُ جُمُعَةٍ لِشَيْخِنَا الْفَاضِلِ أَبِي الْمُنْذِرِ مِنْبِرِ السَّعْدِيِّ الْعَدَنِيِّ — حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

١٤ ربيع الآخر ١٤٤٣ هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ

الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا).

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ:

فقد كان رسول الله ﷺ يهتم غاية الاهتمام لأمر المحتاجين وذوي الفاقة، وكان يهتم غاية الاهتمام بأمر الأيتام والأرامل والمساكين، حتى قال: (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ).

وقال ﷺ: (السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أو قال: (كَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ، وَكَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْثُرُ).

كان يستاء لحاجتهم، ويبادر لمساعدتهم، ففي صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: (كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -أَي فِي أَوَّلِ النَّهَارِ-، فَجَاءَهُ قَوْمٌ عَرَاةٌ مِجَنَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءُ، مِثْلُ السَّيْفِ، عَامَتُهُمْ أَوْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، جَاءَهُ قَوْمٌ عَرَاةٌ أَثَرُ الْفَاقَةِ وَالْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ ظَاهِرَةً عَلَيْهِمْ، حَتَّى أَنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ قَدْ رُبَطَ نَمْرَةٌ عَلَى عُنُقِهِ، وَهِيَ كِسَاءٌ يَسْتَرُ بِهَا عَوْرَتَهُ، وَمَعَهُمْ سَيُوفُهُمْ؛ اسْتَعْدَادًا لِلْأَمْرِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ عَامَتُهُمْ أَوْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، يَعْنِي مِنْ أَشْرَافِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَمَعَ ذَلِكَ وَصَلَتْ بِهِمُ الْفَاقَةُ وَالْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ إِلَى هَذَا الْمَسْتَوَى، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَي تَغَيَّرَ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ- لَمَّا رَأَى بِهِمُ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِأَلَا فَأَذْنَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَرَأَ آيَةَ مِنَ سُورَةِ النِّسَاءِ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، ثم حث عليه الصلاة والسلام على الصدقة،

فقال: **(تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ)** حتى قال: **(وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)**، فجاء رجل من

الأنصار بِبَصْرَةٍ كادت كُفُّه أن تَعْجزَ عنها، بل قد عجزت، حتى وضعها بين يدي رسول الله ﷺ، فتتابع الناس بصدقاتهم، قال جرير: رأيت كوماوين كبيرين في المسجد، كوماً من طعام، وكوماً من ثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ كأنه مُذْهَبَةٌ -يعني يتهلل ويبرق مسروراً- بعد أن كان متغيراً متمعراً، مسروراً بمسابقة المسلمين ومسابقة الصحابة لسد حاجة هؤلاء الفقراء، فلنا في رسول الله ﷺ أسوة كما للصحابة رضوان الله تعالى عليهم كذلك أسوة، لا سيما وقد حل بكثير من الناس الجهد والبلاء والجوع والغلاء، لا سيما وقد حل بكثير من الأسر الجوع والبلاء والجهد والغلاء، غلاء في كل شيء، غلاء في الطعام، غلاء في الشراب، غلاء في الإيجارات، غلاء في أسعار العقارات، غلاء في وقود السيارات، صاحبه اختيار غير مسبوق للعملة، فبعد أن كان راتب الموظف يعادل الألف والألف والخمس مائة ريال سعودي صار اليوم لا يعادل المائتي ريال، فأوقع هذا الوضع كثيراً من الأسر في الحرج وفي العسر والهمل والغم، حتى أنهم لا يستطيعون أن يوفرُوا القوت إلا بصعوبة فادحة، ومشقة بالغة.

فمن هنا معاشر المسلمين: ينبغي علينا أن نقف إلى جانب هؤلاء، وأن نمد يد العون لهم، وأن نساعدهم في تخفيف مصائبهم، وأن نواسيهم، وأن نجبر بخواطرهم، كلٌّ بقدر ما يستطيع، من استطاع بماله فليفعل، ومن استطاع بجاهه فليفعل، ومن استطاع بالكلمة الطيبة فليفعل، ومن استطاع بالدعاء فليفعل.

وأُهيئ على وجه الخصوص بالتجار الكبار وأصحاب رءوس الأموال الكبيرة أن يمدوا يد المساعدة إلى هذه الأسر التي نكبتها هذا الوضع، أن يمدوا لهم يد المساعدة بكل ما يحتاجون إليه من غذاء وثياب ودواء، وليحققوا معنى الأخوة الإيمانية، قال الله عز وجل: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)** وقال عليه الصلاة والسلام: **(المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ)**.

فأُهيئ بهم أن يحققوا معنى هذه الأخوة، وأن ينظروا إلى هذه الأسر بعين هذه الأخوة، وبعين الشفقة والرحمة والرفق والرأفة، أُهيئ بهم أن يحققوا قول سبحانه: **(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)**، وأن يحققوا معنى قوله سبحانه: **(اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)**، وقد دعانا الله ورسوله ﷺ إلى الصدقة وإلى مواساة الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، أُهيئ بهم أن يحققوا معنى قوله سبحانه: **(وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)**، والحذر غاية الحذر من الجشع على حساب الفقراء، الحذر غاية الحذر أن تكون سبباً في غلاء الأسعار، وأن تكون سبباً في زيادة المشقة على الناس، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، فالله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفيق من عباده، والله عز وجل رحيم يحب الرحيم من عباده، والله عز وجل محسن يحب المحسن من عباده، والله عز وجل غفور يحب الغفور الذي يغفر من عباده، والله عز وجل عفو يحب الذي يعفو من عباده، والله عز وجل لطيف يحب اللطيف من عباده، والله عز وجل كريم يحب الكريم من عباده، والله عز وجل جواد يحب الجواد من عباده، فالجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، وكما تعمل

تجأزي، وربنا تبارك وتعالى ييغض الفظ الغليظ القاسي الذي لا يرحم، والذي لا يرفق بالناس، ييغض الجواب الجعظري المستكبر.

فكن يا عبد الله من أهل العفو، من أهل السماحة، من أهل الرحمة، فمن رحم الناس رحمه الله، ومن رفق بالناس رفق الله به، ومن غفر للناس غفر له، ومن عفا عنهم عفا عنه، ومن أكرم الناس أكرمه الله، ومن ستر الناس ستره الله، ومن جاد على الناس جاد الله عليه، ومن أنفق على الناس أنفق الله عليه.

وهكذا بالمقابل: من شق على الناس شق الله عليه، ومن هتك ستر الناس هتك له ستره وفضحه، ومن تتبع عورات الناس تتبع الله عورته، ومن مكر بالناس مكر الله به، ومن خادعهم خادعه، الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، والله عز وجل سيعاملك بتلك الصفة بعينها التي عاملت بها الناس، وكما قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: إن الله يكون لعبده كما يكون العبد لخالقه؛ ولهذا قال النبي ﷺ: (مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) كما قال عليه الصلاة والسلام.

وهذه الأسر التي أوقعها هذا الوضع في الحرج والمشقة. عليها أن تتذكر أن هذا من الابتلاء الذي يبتلي الله عز وجل به عباده؛ ليرجعوا إلى الله تبارك وتعالى، قال الله عز وجل: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ).**

ويقول الله سبحانه: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ).**

وهكذا يقول سبحانه: **(وَنَبْلُوَنَّكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ).**

ويقول الله سبحانه: **(الْم * أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ).**

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد، أيها المسلمون عباد الله:

فلا شك أن لهذا الوضع أسبابًا، قد تكون سياسية، وقد تكون اقتصادية، وقد تكون أخلاقية، ونحن في حرب متكاملة الأركان، حرب على صعيد عسكري، وحرب على صعيد سياسي، وحرب على صعيد اقتصادي، وحرب على صعيد أخلاقي، لكن ربما ننسى السبب الأعظم لهذه المشاكل وهذه المصائب، السبب الأعظم للجذب والقحط والجوع والغلاء، إنها الذنوب والمعاصي، إنها المجاهرة بالمعصية، والمجاهرة بالذنوب، فلا نبرئ أنفسنا من الذنوب والمعاصي، الشرك موجود في مجتمعنا معاصر المسلمين، دعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، والذبح لغير الله، دعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح لهم والطواف بقبورهم والتمسح بها، ومن ذلك ما سيحصل في هذا اليوم من زيارة قبر العيدروس في كل عام في مثل هذا اليوم الثالث عشر من ربيع الثاني، تحصل هذه الزيارة الشريكة الكفريّة لقبر العيدروس، ويأتي الناس من مختلف المناطق، ماذا يحصل؟ يحصل من الشرك بالله، ومن دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة بغير الله سبحانه؛ يا عيدروس يا شمس الشموس أنقذ النفوس! هكذا يدعون العيدروس الميت في قبره، أن ينقذ النفوس، ويطوفون بقبره، كما يطاف بالكعبة، ويستلمون أركان القبر كما يستلم المسلمون الركن اليماني والحجر الأسود، وربما عَقَرُوا جباههم بتراب القبر، يسجدون، ويصيحون، ويصرخون، ويستغيثون، أمور عظيمة من الشرك بالله تبارك وتعالى، ثم نتساءل من أين جاءتنا هذه المصائب؟ ومن أين جاءتنا هذا الجوع والغلاء والكسب والقهر؟!

وهكذا الإلحاد والعلمنة موجود، بل ربما أعلن بها عبر وسائل التواصل، وهكذا سب الرب وسب الدين موجود، ويحاهر بعضهم بسبب الرب والدين، وهكذا النفاق، ثم نتساءل من أين هذه المصائب؟! ومن أين هذه المشاكل؟! وهكذا البدع المغلظة ودون المغلظة موجودة، والحزبيات موجودة، والتفرق موجود، والمعاصي من زنا ولواط يجاهر بها، ثم نتساءل من أين هذه المصائب؟! ومن أين هذا الذي حلَّ بنا؟!

التبذير والإسراف موجود، ولو لم يكن إلا في شراء وتعاطي الناس لشجرة القات، أموال تبذل في شراء هذه الشجرة، يبذلها الرجل، وربما الأسرة محتاجة إلى المائة الريال، وهو يبذل الآلاف في شراء هذه الشجرة، ولو قَدَرْنَا عددَ أهل عدن بمليون، وهم أكثر ذلك، وأن الذين يتعاطون القات قدر الثلث، وهم أكثر من ذلك، وأن الواحد منهم يشتري في اليوم بألف أو بألف وخمسة مائة، وهم يشترون بأكثر من ذلك، لكان مقدار الذي يصرف في شراء هذه الشجرة يوميًا نصف مليار، خمسمائة مليون ريال يوميًا في شراء هذه الشجرة!

ترك الصلوات موجود، منا من يترك الصلاة بالكلية، ومنا من يصلي فقط في الجمعة، ومنا من يصلي في رمضان، ومنا من يصلي وقت، ويترك وقتًا آخر، تفريط وإضاعة للصلوات، ثم نتساءل من أين هذه المصائب؟!

(أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا) الخطاب للصحابة (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ).

هذا قول الله سبحانه، ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً، (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).

فربنا عز وجل يعاقب عباده، ليس بيننا وبينه نسباً، وليس بيننا وبينه مجاملة، يعاقب عباده، وينزل هذه العقوبات؛ لعلهم يرجعون، لعلهم يستغفرون، لعلهم يتوبون.

(وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ).

فهلأ رفعنا أكف الضراعة! وعدنا إلى الله عز وجل! وتبنا واستغفرنا!

أم أننا نزداد طغياناً وعتواً ونفوراً، كلما نزلت بنا المصائب والعقوبات؟!

يقول الله عز وجل في آل فرعون: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) يعني بالجذب والقحط (وَنَقَصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ) لكنهم ما تذكروا! ازدادوا عتواً ونفوراً، قال الله عز وجل: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) أرسل عليهم الطوفان، فأغرق أشجارهم، أرسل عليهم الجراد، فأكل ثمارهم، أرسل عليهم القمل، فأذت أبدانهم، أرسل عليهم الضفادع، فملأت آوانهم وفرشهم وبيوتهم، أرسل عليهم الدم، كان الرجل إذا شرب الماء انقلب دمًا، (آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ).

العقوبات بعد العقوبات، ومع ذلك ازدادوا عتواً ونفوراً.

قال الله عز وجل: (فَلَمَّا آسَفُونَا) فلما أغضبونا (انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ).

فحذارٍ حذارٍ أن تنزل بنا العقوبات والمصائب، فلا نرجع إلى الله، ولا نتوب إلى الله، ولا نستغفر الله جل وعلا: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) ما لكم لا تعظمون الله؟! وتتقون الله في السر والعلانية، وتقيمون شرعه، وتمتثلون أمره، وتجتنبون نهيهِ؟!

بتقوى الله عز وجل تحل البركات والخيرات، (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

قام بتفريغها: بعض طلبة الشيخ.